الذكرى السادسة لاستشهاد
الرفيق القائد غسان كنفاني

حول "الركوع الاحتفالي امام قدوم الحل السلمي"

غسان كنفاني يكتب عن مسيرة رحلة الاستسلام والمخاطر في طريق المقاومة

صحيح ان مئات المقالات والتعليقات والنقاشات التي خطها قلم غسان كنفاني حول « مشاريع التسوية » كانت تعبر عن وجهة نظر الجبهة الشعبية ، فقد كان ناطقها الرسمي ورئيس تحرير صحيفتها المركزية ... ولكن هذه الصفة الرسمية لم تكن وحدها تقف وراء الوضوح الشديد والدقة والشمولية التي اتسمت بها كتابات غسان ... فهذه احتوت اكثر من ذلك : الالتزام الفكري الرفيع ، والوضوح النظري الراسخ ، اللذين حولهما غسان كنفاني الى افكار منظمة واضحة ، بسيطة في الاسلوب والصياغة ، سهلة في الوصول الى عقول الجماهير العربية وقواها الثورية ، مقاتليها وكوادرها ، اصدقائها وحلفائها الاميين ...

ونحن هنا لسنا في معرض الحديث عن مزايا القدرات الكتابية عند غسان ومهارته في الصياغة ... فالامر يتجاوز هذه الحدود ، فغسان ، حتى في اكثر فترات عمر المقاومة والمنطقة تعقيدا وتشابكا ، كان يستطيع ان يعيد ترتيب الامور ليبرز الاهم ، ويبعد القشور والشعارات الجوفاء والتفاصيل المضللة ، فيقدم الحقيقة واضحة قوية ... لقد كان فارسا عظيما في معركة الجماهير العربية ضد قوى الاستسلام والردة واعلامها الصاخب ... كل هذا في وقت مبكر نسبيا اذا ما نظرنا الى السنوات الست المنصرمة المليئة بالاحداث التي تؤكد ما ذهب اليه وتعزز بالملموس وعي الجماهير السياسي ، بحيث لا يملك من يراجع بعض ما كتب في هذا الصدد الا ان يهز رأسه أسى على ضياع الدروس العظيمة التي سجلها وعلى التجاهل الرهيب لما كان حذر منه وتوقع حدوثه ...

وقد يكون من غير العدل ان نجتزىء مقاطع مما كتب في « الهدف » ، فكل ما كتب يستحق ، بل يجب ، ان يجمع ككل متسلسل ، في خلفية احداث وتطورات تلك المرحلة ...

ولكن ، ورغم ذلك فاننا نعتقد ان هذه المقتطفات يمكن ان تكون محطة تنعش الذاكرة ، وتساهم في رسم حقيقة الوضع الذي نعيش ، وحقيقة ما آلت اليه رحلة الاستسلام في وطننا العربي ...

هذه مقتطفات حية وحيوية مما كتبه غسان كنفاني ، وقد يكون كل ما يلزمها حتى تكون آنية جدا ، هو تعديل في اسم هذا النظام او ذاك في « تواريخ » مساهماته الخيانية ، وفي اسم صاحب هذا المشروع التصفوي او ذاك ... الخ .

ذكرى استشهاد غسان كنفاني ، مناسبة لشحذ سلاحنا الفكري ، وتعميق الالتزام الثوري ، وتصحيح الصفوف ورصها ، حتى ننهي الى الابد هذا « الركوع الاحتفالي امام قدوم الحل السلمي » .

المحرر

الركوع الاحتفالي امام قدوم الحل « السلمي »

موقف اميركا ... والرأي العالمي ...

انه من قصر النظر الاعتقاد بان « الخلاف » الامبريالي ـ الصهيوني هذا سيأخذ شكل التعارض الذي يصل الى تناقض ، ومن الواضح منذ البدء انه خلاف جزئي ، وفي النهاية فان الذي يقرر لن يكون فقط ميزان القوى الراهن ، بل الخط الذي يتخذه تطور هذا الميزان على المدى المنظور : ان الموقف الاميركي في هذا الخلاف العائلي مع اسرائيل سيزداد تصلبا ان اشارت الدلائل الى ان حركة التطور في ميزان القوى بين العرب واسرائيل ستميل تدريجيا على المدى المنظور نحو الجبهة العربية ، ولكن هذا الموقف سيجري الغاؤه ان برهنت اسرائيل للولايات المتحدة بأن هذا الميزان سيظل يتطور لمصلحة التفوق الاسرائيلي .

وبكلمات اخرى : ان واشنطن سترضخ لوجهة نظر اسرائيل في هذا الشأن ان استطاعت هذه الاخيرة ان تبرهن بانه من الممكن تحقيق المكاسب الجغرافية والهيمنة الامبريالية والسيطرة الاقتصادية على المنطقة في الوقت ذاته ، وان هذا التحقيق لن يضير المصالح الامبريالية على المدى المنظور ، بل يخدمها .

ولذلك فان افتتاحيات الصحف العربية ، التي تتحدث عن « ارغام اميركا على الضغط على اسرائيل » لا تمثل في الواقع الا اهانة للضمير الوطني العربي ، وهي لا تفعل الا ان تبعث على الغثيان ، وامام المهام المطروحة في هذه المرحلة فان تلك الجوقة من الاصوات العميلة ، المستجدية ، والمستسلمة لاوهامها او رشواتها ، انما تلعب الدور الانهزامي المكلفة به بحكم طبيعتها وارتباطاتها .

ولكن الصحافة العربية لا تتحدث فقط عن « الموقف الاميركي الضاغط على اسرائيل » ولكن ايضا عن « براعة الدبلوماسية العربية التي احرجت اسرائيل دوليا » .

واذا كان الكلام عن الموقف الاميركي وهم في احسن حالاته ، وارتشاء في معظمها ، فان الكلام عن النجاح في احراج اسرائيل امام الرأي العام العالمي هو سذاجة في احسن حالاته ، وارتماء في احضان « الرشوة الذاتية » و « فكر التمني » في معظمها !

فما يسمى « بالرأي العام العالمي » كما تعبر عنه بعض الصحف ، يعبر في هذه الفترة عن ترحيبه بالاستسلام العربي ، وانه من السذاجة الخلط بين الموقفين .

الملاحة في بحر الشائعات

اولا : ان عملية حل سلمي ليست مسألة بوليسية تجري في الخفاء كليا ، وتفاجئنا ذات يوم وراء منعطف ما ، ولذلك لا حاجة لاعتماد العقل التآمري في مطاردة مثل هذه المساعي . ان « الحل السلمي » ـ تنفيذيا ـ هو محصلة الصراع الراهن من خلال موازين القوى وصدام الارادات ، وفي هذا العصر لا حاجة ـ امام وسائل كبرى من هذا النوع ـ للترتيبات البوليسية التي تجري كليا في الخفاء ، فالقرار في النهاية هو لمصلحة موازين القوى المعلنة ، والقدرات المختلفة على تغييرها .

ثانيا : ان التعقيد المحيط بالمشكلة ، في جميع جوانبها ، يجعل من غير اليسير الوصول الى حل ، على الطريقة التي يجري الحديث عنها من قبل اولئك الذين « يستقربونه » بصورة اعتباطية ، واولئك الذين يستبعدونه بصورة قطعية ، فالصدامات المعقدة في المنطقة العربية ، والمتعددة الجوانب والمتشابكة والمتبادلة التأثير ، ليست ذات طبيعة سهلة ، ولكنها من طبيعة مركبة ، وذات صفة جذرية ، بحيث ان كلمة « تسوية » ، في نهاية التحليل ، لا تعني معنى محددا .

ثالثا : وفي الوقت نفسه تعيش المنطقة العربية مأزقا قاسيا ، ولا تشير الوسائل التي تستخدمها الانظمة للخروج من هذا المأزق الى اية دلائل على تحسن ، وكذلك لا تشير علاقة هذه الانظمة بجماهيرها الى ان الاسلوب المستخدم في هذه العلاقة (من الناحية السياسية والتنظيمية

والتثقيفية) يدل على تربية ثورية تعد العدة على حالة طويلة النفس من التحمل والتعويد على حالة الحرب والتضحيات التي تستلزمها مثل هذه الحرب (كي لا يتحدث المرء عن طبيعة الانظمة وعقلياتها وارتباطاتها الطبقية الايديولوجية) وذلك كله يجعل قائمة الاحتمالات المطروحة امام هذه الانظمة ميالة الى احتمالات الاستسلام اكثر مما هي ميالة الى احتمالات القدرة على الاحتمال والتبديل ، ولو الجزئي ، بميزان القوى لتحصيل شروط افضل مقارنة مع الشروط الراهنة .

رابعا : ان قدرة المقاومة الفلسطينية ، جنبا الى جنب مع قدرات الحركة الوطنية العربية في ساحاتها في حالة استنفارها وتنظيمها ، قادرة على ايقاف هذا الخلل في ميزان القوى ، على الاقل . ولكن هذا الاستنفار لا يمكن انجازه من خلال التراخي الذي يبدو في الجو ، ولا بد من دفعه الى الامام وبمنتهى الجدية والشعور بالمسؤولية ، قبل فوات الاوان .

ان هذه المقاييس تسهم ، بلا ريب ، في امتحان مدى حقيقة الشائعات المحيطة الان برحلة الحل « السلمي » .

الهدف ـ ٩٤ ـ ١٩٧١/٢/٣٠

■■

نحو تسوية سياسية او استمرار لتكتيكات الامر الواقع

ميزان القوى الراهن ومستقبله

فما هو ميزان القوى الراهن في الشرق الاوسط ؟

ان العدو الاسرائيلي يطرح لهذه المرحلة شعارا استراتيجيا هو شعار « السلام الاسرائيلي » ، ومعناه الاستسلام العربي ، وهو الذي عبر عنه رابين بقوله : « سلام حسب مفاهيمنا » ـ اما الجانب الرسمي العربي فيطرح شعارا « استراتيجيا » هو شعار « الحل السلمي » .

ان العدو الاسرائيلي الذي يجلس على « بيضة الامر الواقع » مستمر في بناء المجتمع الاستيطاني الذي يهيمن عليه بناء عسكريا عدوانيا ، لمواجهة مختلف حالات الصراع المسلح ، بينما تمضي الانظمة العربية في اغراق المدن بالمزيد من حياة الرخاوة واقتصاد الاستهلاك ، وقمع البادرات والحريات الديمقراطية والتنظيمية ، مناوئة بصورة تدعو للدهشة كل الدعوات التي تتوجه لاستنهاض روح المقاومة لدى الجماهير وكل دعوات التوعية والتثقيف والتعبئة ، الى حد بات من الواضح فيه انه حتى لو صدقنا قصة التكتيك في قبول الحلول الاستسلامية ، فان التثقيف الرسمي والتوعية والممارسات قد حولت هذا التكتيك في اذهان الجماهير الى استراتيجية .. الى هدف !

ان العدو الاسرائيلي الذي يبذل جهودا كبيرة لترويض التجمعات العربية في الاراضي المحتلة واستيعابهم اقتصاديا ، تارة بالاغراء وتارات اخرى بالارهاب ، يقابله على الطرف الاخر موقف رسمي يفوقه وحشية في سحق روح المقاومة ومحاولة اجتثاثها من خلال مجازر دموية ، يدعمه في ذلك طرف صامت ، او في احسن الحالات متعاطف شكليا وشفهيا .. ان هذه النقاط الاربع هي جزء من ميزان القوى في منطقة الشرق الاوسط ، تضاف طبعا لدى اي تحليل الى حجوم القوى العسكرية ومستويات الروح المعنوية كما هي الان على طرفي خطوط وقف اطلاق النار .

ولذلك فان عدم مقاومة الحل السلمي يشكل خطرا مصيريا على صعيد المستقبل ، وكذلك التراخي في الدعوة الى المقاومة والى ممارستها ، ان هذا التراخي يؤدي الى ما هو اكثر خطرا من الحل السلمي ، يؤدي الى مساعدة اسرائيل على تنفيذ استراتيجيتها فيما يتعلق باستمرار الامر الواقع حتى يتحول ، بالتقادم ، الى قانون .

تخريب الامر الواقع

لقد رأينا ، في السطور السابقة ان سياسة « تقادم الواقع » كانت دائما مرتكزا محوريا في تاريخ الغزو الصهيوني وفي تكتيكات الاستعمار والتوسع التي اتبعتها اسرائيل منذ ١٩٤٨ .

ورأينا كذلك ان هذه السياسة « سياسة تقادم الامر الواقع » هي اقدر على تفسير ما يحدث منذ ١٩٦٧ حتى الان ، على صعيد العمل الدبلوماسي الذي يخبىء تارة تحت اسم الحل السلمي وتارة اخرى تحت اسم الحل العسكري ..

ومن الطبيعي ان يكون هناك الكثير من المعوقات امام اسرائيل وامام تنفيذها لهذه السياسة ، ولكن الحسابات الاسرائيلية لميزان القوى ، والتي يدخل في صلبها الواقع العربي ووجهة تطوره على يد الانظمة الراهنة ، يجعل اسرائيل على قناعة كاملة بانه حتى في حال فشلها في مطمطة الامر الواقع الى اطول فترة ممكنة فان الوقت الذي تكسبه مصروف من حساب الوقت العربي وليس من حسابها ، وهذا يعكس نفسه على مكاسب اضافية عندما « ترغمها » الظروف على قبول الحل السلمي ... ان عبارة رابين : « سلام حسب مفهومنا » تصبح عند ذلك ممكنة ، ويكفي لسند وجهة النظر هذه التذكير بكمية التراجعات التي حصدها استمرار الامر الواقع طوال السنوات الاربع الماضية لمصلحة اسرائيل ، والتي لم تكن ممكنة قبل ذلك .

ان هذه الحقائق تؤدي الى استنتاج مهم وهو ان الاولوية الان يجب ان تعطى لشعار : تخريب الامر الواقع ، وتوتير الظروف المحيطة به ...

وعملية تخريب الامر الواقع هذه ليست سهلة ، وهي طبعا ليست بلا ثمن ..

وكذلك فهي لا تعني فقط انهاء حالة وقف اطلاق النار ولكن ايضا المضي نحو ضرب المصالح الامبريالية في الوطن العربي ، وتصعيد العمليات ضد العدو الصهيوني ، وتوسيع وتعميق ونشر سلطة المقاومة في الاردن من خلال ضرب الرجعية باستمرار ..

تخريب حالة الامر الواقع ، تكتيكيا ، هو الرد على تكتيكات العدو الصهيوني في هذه المرحلة .

على ان تخريب الامر الواقع الاسرائيلي يهدف بالطبيعة ، الى خلق امر واقع عربي ، وفي هذه الحالة فان الامر الواقع العربي هو نمو روح المقاومة وارادة القتال وقوة الرفض ، وجدليا يستطيع هذا الامر الواقع الجديد ان يتجاوز تيارات الاستسلام المهيمنة في الوقت الحاضر ، وخلق نواة الحرب الشعبية الطويلة الامد .

اننا الان في العام الرابع للاحتلال ، اي العام الذي يوازي عام ١٩٥٢ بالنسبة لعام ١٩٤٨ ، وبعد سنوات قليلة يجد العالم انه في عام يوازي بالنسبة لـ ١٩٦٧ ما كان عام ١٩٥٦ يعنيه بالنسبة لـ ١٩٤٨ .

ان اربع سنوات احتلال مضت حتى الان في تاريخ دولة مجمل عمرها ٢٣ سنة تعني اشياء كثيرة ، وتجعل لتقادم الامر الواقع ـ كما كان دائما بالنسبة للعدو ـ طعم القانون .

ان تأخر الشروع في عملية تخريب ذلك الامر الواقع حوالي عشرين سنة ساعد على تحوله ـ ولو علميا ـ الى واقع له شكل القانون ، وعلينا الا نسمح لهذا الخطأ بالحدوث مرة اخرى ..

الهدف ـ ١٠٣ ـ ١٩٧١/٦/٥